سيـــر أعـــلام شهـداء الثـــورة الســـوريـــة

القائد العسكـري أبو يوسف المهـاجـر "رشيد يوسف نجار"

جمـــع و ترتيـــب : أبـــي الـوليـد الحنـفـــي

صفر 1441 هـ

إهـداء

إلـى الأخ الطبيـب أبـي حمـزة المصـري، الـذي ظـل صامـدا في حلب يعالـج الجرحـى ويعطف عليهـم ويخدمهـم بإخـلاص حتـى آخـر لحظـة، ولـم يثنـه عـن عملـه قصـف المشـافي وتدميرهـا بوحشـية، فجـزاه الله خيـرا وتقبـل منـه جهـاده.

المقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، واسع المعفرة شديد المحال، والصلاة والسلام على النبي الأمي سيد الأبطال، وعلى آله وصحبه خير الرجال، وعلى من سار على دربهم واقتفى أثرهم وزين الأقوال بالفعال ولم يكن من أهل اللغو والمراء والجدال.. وبعد؛

فهذه سيرة القائد العسكري أبي يوسف المهاجر رحمه الله، وقد اعتمدت في جمعها وتدوينها على أقرب الناس إليه ممن عايشه وخالطه وشاركه حياته وجهاده وبذله وتضحياته، وهم الإخوة التالية أسماؤهم:

- الأخ أبو محمد كيالي.
- الشيخ مصطفى أبو حفص.
- الأخ أبو النصر المصري.
- أبو أحمد أشداء أمير كتيبة أشداء.
- الأخ عمار أنطاكلي حردان.
- القائد العسكري أبو محمد منبج.
- الأخ أبو سارة أشداء.
- الشيخ أبو اليقظان المصري.
- الأخ أبو حمزة الكردي.
- الأخ أبو الشيخ الأنصاري.
- الأخ أبو العبد أشداء.
- الأخ أحمد الحلبي.
- إضافة إلى معرفتي الشخصية به.

القائـد العسـكري أبـو يوسـف المهاجـر : المجاهـد البطـل الشـجاع القائـد الهمـام الفـذ المقـدام المربـي الرفيـق بإخوانـه الشـديد على أعـداء الله الزاهـد العابـد الشـهيد أبـو الشـهيد أخـو الشـهيد خـال الشـهيد أبـو يوسـف المهاجـر رحمـه الله تعالـى.

مولده ونشأته:

ولـد القائـد العسـكري أبـو يوسـف في مدينـة حلـب عـام 1974مـع أن أصـل أسـرته مـن قريـة تـادف وهـي قريـة تقـع في الريـف الشـرقي لحلـب قريبـا مـن مدينـة البـاب ثـم انتقـل مـع أسـرته إلـى مدينـة الرقـة وأمضـى فيهـا طفولتـه ثـم عـاد إلـى حلـب فشـب فيهـا وترعـرع وكان قبـل قيـام الثـورة متدينـا يحافـظ على صلاتـه ويطلـق لحيتـه ويحضـر دروس العلـم عنـد بعـض المشـايخ في حلـب وقـد تـزوج ورزقـه الله خمسـة صبيـان وبنـت واحـدة.

نفيره إلى الجهاد:

كان أبـو يوسـف يعمـل في دكان لبيـع عصائـر الفواكـه في سـوق المدينـة في حلـب، ومـا إن شـبت نـار الثـورة المسـلحة بحلـب حتـى التحـق بصفـوف جبهـة النصـرة، وكان يرابـط معهـم في منطقـة كـرم الطـراب، وبعـد سـنتين تقريبـا تـرك الجبهـة وجلـس فتـرة في بيتـه، ثـم التحـق بصفـوف كتيبـة أشـداء، وكان ذلـك في عـام 2014، وكانـت تتبـع وقتهـا لحركـة أحـرار الشـام الإسـلامية ومقرهـا في جامـع العبـاس الـذي يسـكن بالقـرب منـه أبـو يوسـف المهاجـر وأخـوه أبـو يوسـف الأنصـاري، وبعـد عـدد مـن الصلـوات صلاهـا الأخـوان في ذلـك المسـجد قابـلا أبـا أحمـد أشـداء أميـر الكتيبـة، وأخبـراه أنهمـا يـودان الالتحـاق بهـم، فرحـب بهـم أبـو أحمـد، وأطلعهـم على نظـام الكتيبـة الداخلـي والجبهـات التـي يرابطـون فيهـا، وابتـدأت رحلـة أبـي يوسـف مـع كتيبـة أشـداء، هـذه الرحلـة الطويلـة التـي اسـتمرت حتـى ختمهـا الله لـه بالشـهادة، وقـد لقـب بالمهاجـر تمييـزا لـه عـن أخيـه الـذي لقـب بالأنصـاري تمييـزا لـه عـن أخيـه أيضـا.

ابتـدأ أبـو يوسـف العمـل مـع أشـداء بحراسـة المقـر، ثـم مرابطـا، ولمـا رأى أبـو أحمد أشـداء همتـه ونشـاطه وشـدة بذلـه عينـه أميرا لنوبـة ربـاط، وأحبه الشـباب جـدا لعذوبة لسـانه

وشجاعة جنانه وحسن أخلاقه وطيب معشره، ثم عين أميرا عسكريا لأشداء، وكان أبو يوسف يتمتع بحس عسكري عال وله نظرة عسكرية ثاقبة ولياقة بدنية جيدة جدا، ولذلك تسلم تدريب المجاهدين رياضيا وبدنيا على أجهزة أحضرت للكتيبة من أجل ذلك، وله فراسة في المعارك قل أن تخطئ، فعند تشكيل القوة العسكرية الموحدة في حلب تقرر القيام بعمل عسكري على منطقة الشيخ مقصود، ولم يكن مقتنعا بالخطة الموضوعة، وعلم أن العمل بهذه الطريقة سيكون نهايته الإخفاق، إلا أنه وجد الجميع مصرا على العمل بهذه الخطة، فتنازل عن رأيه ودخل مقتحما، وارتقى عدد من الشهداء وجرح أبو يوسف مع بعض إخوانه وظلوا محاصرين لا يستطيعون الانسحاب من أرض المعركة بسبب رصد قناصات ال ب ك ك لهم حتى غابت الشمس وأرخى الليل سدوله وتدثر المجاهدون بالظلام فانسحبوا من أرض المعركة، ومن وقتها قرر أبو يوسف ألا يدخل عملا هجوميا إلا إذا كان مقتنعا بخطته. ومن دقة فهمه أنه كان يرى قلة أصحاب الخبرات في الساحة وضعف إعداد القادة، فكان يقول لأبي محمد منبج: نحن قد كبرنا وعندنا من الذنوب ما لا يعلمه إلا الله، فلو أننا قدمنا لله عملا نرجو به المغفرة، وأرى أن ننتخب شبابا يكونون أهلا للقيادة، ثم نعمل على تدريبهم والارتقاء بهم؛ لعل الله أن يجري الفتح والنصر على يد أحدهم فيكون لنا نصيب في الأجر.

وقد تعرض منزله للقصف عدة مرات فقد كان يسكن في منطقة الميسر فقصف منزله فانتقل إلى الأنصاري وفي الأنصاري قصف منزله أكثر من مرة.

شجاعته:

لعل أكثر صفة تميز بها أبو يوسف المهاجر الشجاعة، فقد كانت شجاعته منقطعة النظير قل أن تجد لها مثيلا، فلم يكن يسمح لأحد أن يكون أمامه في الصف أبدا، وذات مرة قال له أحد المجاهدين: يا أبا يوسف أنت كبير بالسن مقارنة بنا، ومع ذلك تصر أن تتقدمنا في كل اقتحام، فما رأيك أن تبقى في الخلف توجهنا وتترك لنا الصف الأول، فنظر إليه أبو يوسف، وقال: تريد أن تضحك علي وتساومني على جنة عرضها السموات والأرض، لا والله لا يكون ذلك أبدا.

وقد صد هجوم الجيش وحده وحرر نقاطا وحده عدة مرات، فهو رجل بألف، رجل همه

الوحيد أن يقدم كل ما يستطيع لإقامة الدين وتحكيم الشريعة وإعلاء كلمة الله.
قال مرة لأحد المجاهدين: والله لولا أني أخشى أن تكون نيتي مدخولة لقمت بعملية استشهادية، وهذا سهل علي جدا، ولكني أخاف أن يكون غرضي التخلص من الدنيا ومتاعبها وما نلقى فيها من الشدة والكروب.

ولم يُدعَ أبو يوسف إلى مؤازرة إلا بادر إلى الاستجابة أيا كان الوقت والظرف، ففي إحدى المرات في ليلة من ليالي الشتاء ذهب إليه أبو محمد كيالي في بيته في الساعة الثانية ليلا وطلب منه المؤازرة، وكان أبو يوسف جنبا والبرد شديد، فقام أبو يوسف واغتسل بماء بارد، ثم سار معه بخفة ونشاط، ولم يظهر انزعاجا أو ضيقا.
وهكذا كان الأمر كلما ابتدأ الجيش بالتمهيد بالسلاح الثقيل يناديه المرابطون على القبضة: نريد مؤازرة، وكثيرا ما تكون المؤازرة مكونة منه فقط، فيهب مسرعا لنجدتهم.

وكانت أول معركة خاض غمارها في أشداء تهدف إلى تحرير معمل السكاكر (الدروبس) في قرية عزيزة، وكان قائد إحدى المجموعات، وقد تمكن من الدخول حتى وصل إلى سور المعمل وقتل بعض العساكر الموجودين هناك وفر الباقون، وأصبح المعمل خاليا، ثم طلب إرسال مؤازرة له ليكمل التحرير، ولكن لم يتمكن المجاهدون من الدخول إليه بسبب قطع الطريق من قبل قناصي النظام، واستشهد ثمانية من المجاهدين، وأصيب أبو يوسف بطلقتي قناصة فسقط أرضا، وفقد المجاهدون الاتصال به، وظنوا أنه قتل، وكان في منطقة لا يستطيع المجاهدون الوصول إليها ولا الجيش كذلك لرصدها من الطرفين، فانسحب المجاهدون من أرض المعركة، وذهب أخوه أبو يوسف الأنصاري إلى زوجة أخيه وأخبرها أن زوجها استشهد، وبعد عدة ساعات من الزحف تمكن أبو يوسف المهاجر من الانسحاب من أرض المعركة، وتفاجأ به المجاهدون ماثلا أمامهم، فكانت فرحتهم به عظيمة، وامتلأ بيت أبي يوسف المهاجر فرحا بعد أن كان قبل قليل ممتلأ حزنا وألما..
وكان أبو يوسف لشدة حبه للجهاد وحرصه على الخير يقف حارسا أمام المقر أثناء فترة علاجه.

وفي إحدى المرات بدأ الجيش يقتحم على نقاط أشداء المرابطة على قرية عزيزة،

وأخذت القذائف تنهمر بشدة، وكان أبو يوسف مع اثنين من المجاهدين، فنزلوا في الخندق الطويل المتعرج، وتقدمهم أبو يوسف، وقال لهم: اتبعوني، ووصل أبو يوسف إلى النقطة التي يمكنه من خلالها الاشتباك مع الجيش وتوفير الحماية لنفسه، وطال انتظاره ولم يأت المجاهدان حتى تمكن من صد هجوم الجيش، فرجع ليؤنبهما على تأخرهما فوجدهما قد استشهدا بقذيفة سقطت عليهما.

وفي معركة فك الحصار في الراموسة كان كثير النصح للإخوة بالثبات، وحصل انفجار قبل العمل أوقع عددا من الشهداء، فتعلل البعض من الكتائب بأنه لم يبق لديه أعداد ليرسلهم إلى الرباط، أخذ أبو يوسف مجموعة في الليل وهم لا يعرفون شيئا عن المكان ورابطوا في الراموسة، وأخذ يحضهم على الصبر والثبات، فلما أشرق الصباح ابتدأ التحرير وأخذ أبو يوسف مع مجموعته يمشطون من جانب وشباب الجبهة يمشطون من الجانب الآخر، وفتح الله على المجاهدين فتحا عظيما، ورأى أبو يوسف كثرة الغنائم خاف على نيات المجاهدين جدا فلم يكن ديدنه وقتذاك إلا أن ينبههم على وجوب تعليق قلوبهم بالله وإخلاص العمل له وعدم الالتفات إلى حطام الدنيا.

وبعد فك الحصار الأول عن حلب وتحرير الدباغات صار أبو يوسف يرابط هناك وهي منطقة خطيرة جدا، فالقصف لا ينقطع، ومحاولات الجيش لاقتحامها لا تتوقف، وفي أحد الاقتحامات تمكن أبو يوسف وحده من قتل سبعة عساكر، ومرة أخرى لم يبق معه إلا شاب واحد والجيش يقتحم فاستشهد الشاب وبقي أبو يوسف صامدا وحده، وقد منَّ الله عليه فلم يتمكن الجيش من التقدم.

وبعد أن تمكن النظام من إطباق الحصار مدينة حلب للمرة الثانية وأخذ يتقدم من منطقة بستان الباشا أراد أبو يوسف أن يوفق بين جبهة أشداء الأساسية عزيزة وهذه الجبهة التي لم تكن في الحسبان فقد كانت ترابط بها بعض الفصائل المهترئة ثم انسحبوا بعد هجوم الجيش النصيري، فأوكل أبو يوسف جبهة عزيزة لشاب يدعى أبو بلال شيخ الجب - وقد استشهد فيما بعد رحمه الله - وتوجه أبو يوسف إلى قادة الفصائل وأخذ يكلمهم من أجل إرسال مؤازرات لمنع سقوط جبهة بستان الباشا، ثم أخذ مجموعتين وتوجه إلى هناك لمؤازرة جبهة النصرة، ووصل إلى هناك عند أذان المغرب حيث وجد أن جبهة النصرة قد تمكنت من استعادة

السيطرة على مبنى العظم هناك، أما الأبنية المجاورة له فقد انسحبوا منها بعد أن أخفقوا في تحرير ما تبقى منها، وطلب شباب النصرة من أبي يوسف المرابطة في مبنى العظم حتى الصباح، وكان الظلام قد حل والإخوة مع أبي يوسف لا يعرفون كبير شيء عن المنطقة، فرابطوا هناك، وكانت ليلة شديدة عليهم جدا، وقال لهم أبو يوسف: إن اقتحم الجيش بالليل صددناه وإلا فسنقتحم عليه صباحا بإذن الله، ولم يجد المجاهدون مكانا يمكنهم النوم فيه بأمان سوى الدرج، وفي الصباح جاءت مجموعة مجاهدين من فصيل الصفوة، وقالوا: نريد أن نقتحم، فلما رأى أبو يوسف صدقهم قال لرجاله: هل أنتم جاهزون؟ فقالوا: نعم، فقال لشباب الصفوة: الجيش هناك، ثم رتب الصفوف وتقدم المجاهدين مقتحما على الجيش والمجاهدون خلفه يتبعون إرشاداته وتعليماته، فقام أبو يوسف بتمشيط البناية الأولى ثم توجه إلى الثانية فقام أحد عناصر النظام بوضع أريكة أمام الفتحة الجدارية وأشعل فيها النار مما أدى إلى ملء المكان بالدخان وأصبحت الرؤية صعبة والتنفس أصعب، وبمشقة تم تحرير البناية الثانية، ثم انتقل المجاهدون بإمرة أبي يوسف إلى سطح البناية الثالثة وأخذوا يرمون من السطح ألغاما متوسطة بعد إشعال النار في فتيلها، فدب الرعب في قلوب الكفرة وهزمهم الله وفتح على المجاهدين، واستردوا مجموعة الأبنية من العدو.

وتعلقت القلوب بأبي يوسف جدا حتى بلغ الحال ببعض الشباب أن يظن أن معركة يقودها أبو يوسف لا يمكن أن تهزم، وحتى قال بعض المجاهدين لأبي يوسف: كف عن الخروج في بعض المؤازرات حتى لا تتعلق قلوب الشباب بك، وحتى يعتمدوا على أنفسهم، فحاول أبو يوسف أن يتخلف عن بعض المؤازرات إلا أن حب الجهاد غلبه فلم يستطع، ولكنه كان كثير التذكير للإخوة بالله وبوجوب التعلق به وحده، والتوكل عليه وحده سبحانه وتعالى.
وقد منَّ الله عليه قبل استشهاده بأن صار جميع وقته مستهلكا في الجهاد، فقد كان يمضي يومه في تفقد الجبهات من مخيم حندرات إلى بستان الباشا إلى جبهة عزيزة، ويصل إلى بيته منهكا تماما، وما إن يدخل بيته حتى يناديه الشباب على القبضة بأن الجيش بدأ يقتحم على عزيزة، فيلبس ويخرج إلى المعركة، وفي عزيزة نقطة تدعى العقرب ولها أهمية كبيرة، ولذلك كان الجيش يحاول السيطرة عليها بشدة، وقد حصل ذلك مرارا، واستعادها منه المجاهدون، وبعض تلك المرات استعادها أبو يوسف وحده، فقد كان حقا بألف رجل.

ومع أن أبا يوسف لم يكن كبير السن جدا إلا أن الشيب كان قد غزا رأسه وسيطر على مساحات واسعة منه، فكان يظنه من يراه أكبر من عمره الحقيقي، وفي إحدى المعارك في الريف الجنوبي لحلب أمضى أبو يوسف وقتا طويلا في الاستطلاع والرصد وتفقد المجاهدين حتى غلبه التعب فخلع جعبته ووضع سلاحه جانبا وجلس على الرصيف ليرتاح قليلا قبل بدء المعركة، فجاء أحد الإخوة الإداريين وسلمه عصائب حمراء ليوزعها على المقتحمين لتكون علامة فارقة بينهم وبين عدوهم في أرض المعركة، فتناول أبو يوسف العصائب وبقي جالسا على الرصيف، وأخذ ينادي الشباب ويوزع عليهم العصائب، فتجمعوا حوله وهو جالس يوزع عليهم، فجاء أحد الإخوة الإعلاميين فرأى أبا يوسف على هذه الحالة فظنه رجلا طاعنا في السن لا يقوى على الجهاد ولكنه يحب المجاهدين، فالتقط له صورة ونشرها بعد أن كتب تحتها: لم تمنعه شيبته من أن يشارك المجاهدين غزوتهم ولو بتوزيع العصائب عليهم!!.

ومما تميز به أبو يوسف أنه كان حريصا على طلب العلم الشرعي والفقه الحركي الجهادي، وكان شديد الحب للشيخ أبي مصعب السوري، لكنه لم يكن يجيد استخدام النت فلم يحصل على دروس صوتية له حتى انتسب الأخ أبو النصر المصري إلى أشداء وكان أثناء رباطه يستمع إلى سلسلة صوتية لأبي مصعب السوري فشاهده أبو يوسف، فقال له ممازحا: أعطني هذه السماعات لأرى ماذا تستمع لعلك تستمع إلى بعض الأغاني، ثم أخذ السماعات ووضعها على أذنه، فلما سمع صوت أبي مصعب، قال: يا الله ما أحب هذا الصوت إلى قلبي، ثم أخذ السلسلة الصوتية من أبي النصر، وصار كل منهما يستمع إليها ويتذاكران معا ما سمعاه، ويستفيد كل منهما من الآخر، ويصحح له، وإذا اختلفا بمراد الشيخ أبي مصعب ببعض كلامه عرضا الأمر على أبي محمد منبج ليعطيهما رأيه بالموضوع.

وكان إذا أراد أن يعاقب أحد المتدربين في المعسكر يحرص على عدم جرحه، فإذا كانت العقوبة زحفا مثلا، قال: طريقة الزحف هكذا، ثم يزحف ويتبعه المعاقب، وإذا كانت تقلبا في التراب فكذلك، وكثيرا ما يكون لابسا أثناء ذلك ملابس نظيفة فلا يبالي بذلك، فيشعر المتدربون أنه واحد منهم لا يتميز عليهم بشيء، فيحبونه جدا.

ومن حسن جهاد أبي يوسف أنه كان يحرص على سلامة الجنود حرصا عظيما،

فلا يلقي بهم إلى التهلكة، أو يدخل بهم في معركة لم يحسب حسابها، بل لا يدخلهم اقتحاما إلا إذا كان يتقدمهم بعد دراسة الجبهة جيدا وترتيب المعدات اللازمة للمعركة، ولا يسمح لأي أحد بدخول الاقتحام، بل لا بد أن يكون ذا تدريب قوي ولياقة عالية، ولذلك كان لأبي يوسف مجموعة معينة يدخل بها الاقتحامات ولا يبدل منها إلا واحدا أو اثنين في كل اقتحام، حتى اشتكى منه الشباب؛ لأنه يمنعهم من الدخول إلى المعركة، فقال: هم ليسوا مدربين بشكل كاف، أفأدخل بهم فأضيع دماءهم.

وقد أخبرني الأخ أبو حمزة الكردي، فقال: كان أبو يوسف يمنعني من المشاركة في الاقتحامات؛ لأنني دعوي ولا أمتلك لياقة بدنية وخبرة عسكرية قتالية كافيتين، ووعدني أن يسمح لي بالمشاركة في الاقتحامات لو ملكت ذلك، فذهبت إلى معسكر للانغماسيين كان لواء الإيمان التابع لحركة أحرار الشام الإسلامية قد أقامه ومدته أربعون يوما، فلما تخرجت فيه وفَّى أبو يوسف بوعده وأشركني في جميع المعارك والاقتحامات التي حدثت بعد ذلك.

ومن حرصه على دماء الشباب المقتحمين أنه كان قبل كل معركة يأتي بهم إلى مستودع السلاح والذخيرة فيدخلهم فردا فردا ويتفقد سلاح وذخيرة وجعبة كل واحد منهم ويعطيه ذخيرة احتياطية سوى ذخيرته التي في المخازن، وإذا كان حذاؤه العسكري في حالة غير جيدة أعطاه جذاء جديدا، كما يزود كل واحد منهم بقداحة جمر، وحزامة يدين، وكسارات لليدين والقدمين، وضوء يوضع على الرأس، وعدة طبية من أجل القيام بالإسعافات الأولية في حال سقوط جريح، وبالجملة فلم يكن المقتحم يحتاج شيئا في اقتحامه إلا وزوده به.
وكان أبو يوسف دقيق الإصابة في الرماية جدا، ففي إحدى المرات أثناء الرباط في جبهة باشكوي طلب منه أبو عثمان الأنصاري أن يشرف على رماية بعض الشباب الجدد، فبدأ أبو يوسف الرماية ووضع الشباب له قنينة بعد أن رسموا عليها دائرة صغيرة لا يتجاوز قطرها ثلاثة سم، فرمى أبو يوسف الطلقة فجاءت في قلب الدائرة ثم رمى الشباب من بعده.
كما كان يتمتع بلياقة عالية جدا فقد كان يلعب الحديد قبل الثورة، وفي إحدى المرات تسابق بعض المجاهدين جريا على أقدامهم لما ذهبوا لصد الجيش في ريف حلب الجنوبي فسبقهم أبو يوسف جميعا، مع أنه كان أكبرهم سنا، وفي إحدى

المرات أخذ الشباب يتنافسون من يستطيع أن يقوم بأكبر عدد من تمرين الضغط، فاستطاع أبو يوسف عمل التمرين أكثر من ستين مرة، بينما لم يقدر أقوى الشباب على عمل التمرين أكثر من خمس وأربعين مرة، وهكذا كان شأنه في كل تمرين رياضي كتمرين المعدة وتمرين الثابت.
ومن حسن معاملته للمجاهدين أنه كان يلعب الكرة معهم، ويذهب معهم إلى المسبح، ويمازحهم، وفي إحدى المرات حمله المجاهدون في المسبح وألقوه في الماء، فقال أبو يوسف: من الجيد أنهم رموني في الماء وليس على الأرض وإلا كسرت يدي أو رجلي، فقد كان يخشى أن تنزلق أقدامهم على الأرض المبتلة فيحدث ما لا تحمد عقباه.

ولما استلم مجاهدو أشداء نقطة جديدة في جبهة عزيزة كانت النقطة تحتاج إلى تحصين، فأخذ أبو يوسف الحفارة وجعل يحفر خندقا في النقطة بيده، وهذا ما أثار الحماسة في صدور الشباب وجعلهم يتسابقون في العمل.

وكان أبو يوسف يتناوب مع أبي عثمان الأنصاري على تدريب الشباب، فإذا كانت نوبة أبي يوسف وابتدأ درس الرياضة كان أولهم جريا ثم يتبعه باقي المتدربين، وقد تصل فترة الجري إلى ساعة، وقلما يتخلف عن الجري، وكان درس الرياضة عبارة عن الركض أربعين دورة حول المدرسة التي يتدرب داخلها المجاهدون. وفي إحدى المرات وبعد أن أنهى الشباب أربعين دورة فتح لهم باب المدرسة وأمرهم بالمسير إلى المقر، وشرع يسير أمامهم، فسار المتدربون من منطقة المرجة حيث يقع مركز التدريب إلى الأنصاري حيث يقع مقر أشداء وبينهما خمسة كيلو متر ولم يقف بهم إلا دقيقتين في منطقة السكري، ثم تابع بهم المسير إلى مقرهم، وكان عدد المتدربين عندما بدؤوا المسير أربعين شابا، فوصل المقر منهم أربعة عشر شابا فقط، فلما وصلوا قال لهم: والآن العودة إلى مركز التدريب ثانية، فعادوا وقد أنهكهم التعب.

ولما أنشأ مجاهدو أشداء قوة مركزية تسلمها، وصار يأخذ المقاتلين يوميا إلى مركز تدريب على ألعاب الحديد، ويدربهم هناك، كونه صاحب خبرة في ذلك.

وفي معركة الشيخ مقصود دخل المعركة ولم يكتب الله للمجاهدين الفتح، وحوصرت

مجموعة منهم، وصار من الواجب إخراج الشباب من أرض المعركة، وبدأت عملية الإجلاء، ورفض أبو يوسف الخروج حتى خرج آخر مجاهد.
وعند كثرة الشهداء والجرحى كان يقول: إن الله يريد منا دماء وأشلاء، وسنبذل ذلك حتى يرضى.

عبادته وأخلاقه:

كان لسان أبي يوسف رطبا بذكر الله دائما، فإذا كان في لقاء مع إخوانه وهم يتحدثون قال أبو يوسف ما عنده ثم أخذ يذكر الله عز وجل بينما يتحدث باقي الشباب، ولم يكن يدع صلاة الفجر في المسجد أبدا، ويجلس بعدها في حلقة القرآن، ويحضر معه أولاده الثلاثة، ويكثر من تحريض المجاهدين على قراءة القرآن بقوله وفعله، فقد كان يمضي كثيرا من وقت رباطه في مراجعة ما يحفظه من القرآن أو في التلاوة من المصحف.

كما كان يخدم إخوانه ويساعدهم ويتواضع لهم مع كونه الأمير العسكري لأشداء، يقول أبو محمد كيالي أحد إخوانه في أشداء: كنت أذهب مع أبي يوسف إلى السوق لنشتري الحطب لبيوتنا معا، فإذا اشترياه ذهبنا إلى بيته فوضعنا حصته من الحطب ثم انطلقنا إلى بيتي وهو في الطابق الرابع وأنا أعاني من مرض في ظهري يمنعني من حمل الأشياء الثقيلة، فكان أبو يوسف يحمل الحطب على ظهره حتى يصعد به إلى بيتي، وقد يكون الحطب كيسين أو ثلاثة فأقول له: يا أبا يوسف دع عنك لا تتعب نفسك، فيأبى إلا أن يحمله.

والصبر من شيم أبي يوسف وأخلاقه فعندما استشهد ابنه يوسف في معارك بستان الباشا في حلب وبلغه الخبر، وقبل أن يذهب مع الشباب لإحضار جثمانه، حمد الله تبارك وتعالى ثم قام فصلى ركعتي شكرا لله على ذلك.

ولاستشهاد ابنه قصة، فقد كان ابنه أبو رشيد معه في أشداء وعمره لا يتجاوز ستة عشر عاما، وكان أبو يوسف يرفض السماح له بدخول المعركة، ويقول: ليس ضنا به عن الشهادة، ولكنه لا يمتلك المقومات البدنية والعسكرية التي تؤهله لذلك، فانتقل ابنه إلى جيش النصرة كي يتمكن من خوض المعارك، وكان يرابط معهم في بستان الباشا، وفي أحد الأيام تمكن الجيش من احتلال المبنى الذي يرابط

فيه المجاهدون ثم لغموه، وعند قيام المجاهدين بالهجوم على المبنى انسحب منه العدو، فدخله أربعة من جيش النصرة أحدهم أبو رشيد، ففجر الكفار عند ذلك الألغام فانهار المبنى بشكل كامل، وقُتل ثلاثة من الإخوة تحت الردم وبقي الرابع حيا وقد غطى الردم جزءا من جسده، فأخبر المجاهدون في جبهة النصرة أبا يوسف بالأمر فانطلق معهم إلى المبنى المتهدم، وأخذ يرفع معهم الأنقاض، حتى ظهرت يد فلمسها أبو يوسف، وقال: هذه يد ابني، أنا أعرفها جيدا، ثم تابع الرفع حتى أخرج جسده ونقله إلى صلاح الدين حيث دفنه هناك، وحزن لوفاة ابنه حزنا شديدا، ولكنه صبر ولم يلبث بعد استشهاد ابنه إلا فترة وجيزة ثم استشهد بعدها.

وفي معركة باشكوي أراد كل من الأخوين الشقيقين أبي يوسف المهاجر وأبي يوسف الأنصاري الخروج واختلفا على ذلك، ثم تقرر أن يخرج الأنصاري، فخرج ورزقه الله الشهادة، ووصل الخبر إلى المهاجر فجاء حتى وقف على جثمان أخيه، فبكى واسترجع وحمد الله، ولم يظهر منه جزع أو تسخط، وفي اليوم التالي اختفى كل أثر للحزن من وجه أبي يوسف المهاجر.

ومن مواقف صبره العجيبة أن فصيلا من الفصائل التي يكثر فيها الضعف الأخلاقي والديني أرسل مجموعات إلى معسكر للأحرار في قلعة سمعان من أجل أن تتدرب عسكريا وبدنيا وشرعيا، وكان المدرب هناك أبو المعتصم أيوب رحمه الله، فمكث معهم يومين ولم يستطع الإكمال لهول ما رأى منهم من المخالفات الشرعية، ثم ذهب مدرب آخر فمكث معهم يومين ولم يستطع المتابعة للسبب ذاته، فعرض أبو أحمد الحلبي على أبي محمد منبج أن يذهب ليدربهم فوافق بشرط أن يذهب معه أبو يوسف المهاجر، فوافق أبو أحمد، فذهبا والتقيا بالمدرب هناك، وسألاه: لماذا تريد أن تترك العمل، فبدأ يذكر ما رأى لهم من المعاصي والذنوب، ثم غادر هو وأخ دعوي معه، ولم يبق أحد من المدربين في المعسكر، فنظر أبو محمد إلى أبي يوسف، وقال له: ما رأيك؟ فقال: إن شاء الله بهؤلاء سندخل الجنة إذا استطعنا أن نكون سبب هداية بعضهم وإصلاحه، فهذا يكفي، ثم شرعا بالتدريب الشرعي والعسكري والرياضي، وكان عدد المتدربين في بداية المعسكر مائة، فلم تمض بضعة أيام حتى نزل العدد إلى النصف، وهو العدد الذي كان موجودا عند قدوم أبي محمد منبج وأبي يوسف، واستمر العدد كذلك لم ينقص حتى تخرجوا، وكان أبو يوسف فرحا جدا بتدريب أولئك، ويقول: أرجو أن يثيبنا الله على تدريبهم.

وكان لا يرضى أبدا أن يضيع حق لأحد، فالمعتاد إذا أخطأ أحد من أشداء في حق أخيه في الرباط أو استهزأ به أو ظلمه أن يذهب المظلوم إلى أمير أشداء أبي أحمد لينال حقه، وكان هذا هو الوضع بشكل عام، إلا في نوبة أبي يوسف فما كان أحد يقدر على الإساءة لأخيه لأنه يعلم أن عقابا شديدا ينتظره حينئذ.

ومن شيم أبي يوسف الصدع بالحق وإسداء النصح والاهتمام جدا بأمور المجاهدين المالية، وكان يحض على كفايتهم قدر المستطاع، ولا تعجبه الطريقة التي يستخدمها معظم الإداريين بالساحة من ادخار القسم الأكبر من المال تحسبا لما قد يحدث، بل كان يقول يمكن أن ندخر شيئا يسيرا والباقي نوزعه على شبابنا، فهم بأمس الحاجة إليه، وأكثر الناس استحقاقا له، وأما المستقبل فهو بيد الله، ولن ينسانا، فقد كان من أنصار المثل العامي (عيشني اليوم موتني بكرة) بمعنى وزع ما عندك على الشباب اليوم، وإذا جاء الغد ولم يكن معك شيء فلن يلوموك لأنهم يعلمون أنك لم تدخر شيئا عنهم.

وكان يحب أن يطيب قلوب الشباب ويعيدهم إلى الكتيبة إذا تركوا لأمر من الأمور، ولا يعجبه أسلوب بعض القيادات الذين لا يهتمون بذلك بحجة أن هذا جهاد ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، ففي إحدى المرات حدثت مشكلة بين أبي النصر المصري الذي كان مسؤولا عن سلاح المدفعية وبين أحد الشباب في المدفعية، فأساء له الشاب إساءة شديدة، فأخرج أبو النصر مفاتيح المستودعات التي عنده وسلمها وغادر المكان، وبعد أن علم أبو يوسف بالقصة أخذ معه أبو محمد منبج ثم انطلقا إلى بيت أبي النصر وطيبا قلبه، وقالا له: الشاب الذي أساء إليك هو أخوك، ولديه بعض المشاكل، ويجب أن تعذره، ثم أخذ أبو يوسف بذراع أبي النصر وتنحى به جانبا، وقال له: يا أبا النصر لا ينفعك سوى جهادك، ويجب أن لا يعوقنا كلام الناس وذمهم، فنحن نعمل لله، وسأنصحك بأمر، وهو أن هناك مشوشين سينقلون لك كلام فلان (أحد القياديين في أشداء)، ولذلك اسمعه مني قبل أن تسمعه من غيري، وهو أننا كنا جالسين فجاء بعض الإخوة فأخبرنا بالمشكلة، فاتخذنا قرارا بزيارتك وتطييب خاطرك، وقلنا لفلان: قم معنا، فقال: لن أذهب معكم فنحن في جهاد ولسنا في مؤسسة، فهذا رأي فلان وهو حر فيه، ولكنه ليس أميرنا، نحن أميرنا أبو أحمد، وهو الآن في سلقين، ولو كان موجودا لجاء معنا، ونحن نريدك أن ترجع إلينا،

ونحبك، وما زالوا به حتى رجع إلى أشداء.
وهذا الأمر تكرر مع عدة أشخاص تركوا العمل مع أشداء لسبب ما، فكان يذهب إليهم ويطيب قلوبهم ويعيدهم، حتى قال له أبو النصر مرة: لماذا تشغل نفسك بهذا الأمر، وهو ليس من اختصاصك، هذا يجب أن يصدر عن أبي أحمد أشداء أو أبي العبد أو أبي محمد منبج، فقال لي: والله العظيم يا أبا النصر أي إنسان أعلمه يسمع مني ويقبل نصيحتي أنا مستعد للذهاب إليه والأخذ بيده إلى الجهاد، هل من المعقول أن نفرط بمجاهد في الشام؟ نحن قد أكرمنا الله وبارك لنا في أرضنا، فهي أرض الخير والبركة، فلا يجوز أن ننفر الناس عن الجهاد، بل لا بد أن نهتم بهم ونحرص على زيادة عدد المجاهدين قدر المستطاع.

وفي فترة حصار حلب كان أبو يوسف قائما على عدة معسكرات، وكان له أثر إيماني تربوي واضح، فما كان يمر يوم إلا ويصلي بالمجاهدين قيام الليل، أو يقدم أحد إخوانه ليصلي بهم.

وأما التواضع فقد بلغ أبو يوسف القمة فيه، فلم يكن يطلب منه أمر إلا استجاب، سواء كان تدريبا أو حراسة أو رباطا أو إعطاء دروس ونصائح، وبالجملة فلم يشعر أحد من الإخوة أن أبا يوسف تكبر عليهم يوما أو نظر إليهم نظرة احتقار أو نظر إلى نفسه نظرة استعلاء، بل كان يعد نفسه كأي عنصر آخر يشارك الجنود في كل شيء، ولذلك كان له محبة عظيمة في قلوب المجاهدين ويرونه أبا رحيما رفيقا، وكثيرا ما يستشير إخوانه ويسعى للأخذ بالرأي الأقرب إلى الصواب والأنفع للجهاد.
ولم يكن مع شدته وغلظته على أعداء الله عصبيا أو غضوبا، بل يتمتع بهدوء عجيب حتى في أحلك المواقف وأشدها، حتى قال لي أحمد الحلبي: لقد صحبت أبا يوسف فترة طويلة وشاركت معه في عدد من المعارك فلم أره غضب طوال فترة صحبتي له سوى مرة واحده فقط.

ومن تواضعه لإخوانه ومحبته بهم أن ابن أخته أبا المعتصم رحمه الله أصيب في بعض المعارك التي كان يقاتل فيها حزب ال ب ك ك، فأراد الشباب أن يعودوه، وكانت السيارة المتوفرة نوع (بورتر) وهي مكشوفة من الخلف، والمكان في الأمام يتسع لثلاثة أشخاص عادة، وكان السائق أبا حمزة الكردي، فصعد أبو يوسف إلى جانبه، وشق على الإخوة أن يصعدوا في الخلف، فكان أبو يوسف يناديهم فيصعدون بقربه

حتى صار عدد الجالسين في المقعد الذي بقرب السائق خمسة شباب، وقد التصق بعضهم بالزجاج لشدة الزحام، وبقي شاب يريد الصعود، فنظر إليه أبو يوسف، ثم قال له: اصعد من الطرف الآخر بقرب السائق، فذهب الشاب وركب بجانب أبي حمزة الكردي، وانطلقت السيارة حتى وصلت إلى البناية التي يسكن فيها أبو المعتصم، وكان أمامها رجل واقف وأخذ الشباب ينزلون من السيارة، فدهش الرجل لما رأى هذا العدد الكبير ينزل من المقاعد الأمامية، وقال: ما شاء الله، كيف اتسع المكان لهؤلاء جميعا!

وكان أكثر الأشياء التي يعزر بها من يقصر في الرباط أو الرياضة أو الرماية أن يأمرهم بإطعام باقي الشباب الحلوى أو المثلجات.

وإذا جنَّ الليل وقف بين يدي ربه متضرعا باكيا يصلي ويناجي ربه ويدعوه ويتذلل بين يديه، كما كان كثير القراءة لكتاب الله تعالى.

ولديه حرص شديد على تربية أولاده تربية إسلامية جهادية، وكان من عادته أن يصطحب أولاده الذكور جميعا معه؛ ليصلوا الفجر في المسجد ويحضروا حلقة القرآن بعد الصلاة، وعمر أصغرهم خمس سنوات حينئذ، وفي إحدى المرات، وبينما الشباب يقرؤون القرآن في الحلقة وصل الدور إلى أبي يوسف، فقرأ وإلى جانبه ابنه فقرأ، ثم ابنه الثاني وهو أصغر من سابقه فقرأ، ثم أصغرهم فجعل يقرأ الكلمة حرفا حرفا ثم يلفظها، فلما انتهى تبسم أبو أحمد أشداء وقال ممازحا له :يا أبا يوسف، أليس هناك أصغر من هذا لتحضره أيضا؟

كما كان محبوبا ومقدما من قبل الفصائل المقاتلة في حلب لصدقه وإخلاصه وجديته وكانوا يستبشرون إذا رأوه يقود المجاهدين في المعركة.

وقبيل استشهاده عند اشتداد الحصار خاف الناس على نسائهم وأطفالهم فجعلوا يرسلونهم عبر معبر جسر الحاج إلى مناطق سيطرة النظام، فقال بعض الشباب لأبي يوسف: ألن ترسل أهل بيتك، فقال: أخشى أن يفتنوا عن دينهم، ولئن أراهم جميعا قتلى أمامي أحب إلي من أن أرسلهم إلى مناطق النظام.

لـم يكـن أبـو يوسـف يفـرغ لأهـل بيتـه إلا قليـلا، وفي الأيـام الأخيـرة قبـل استشـهاده لـم يكـن أبـو يوسـف يذهـب إلـى بيتـه إلا نـادرا؛ لشـدة انشـغاله بالمعـارك، مـع أن الوضـع وقتـذاك كان شـديد الخطـورة، فالقصـف شـديد جـدا، والمسـاحة المحـررة في تناقـص مسـتمر، ممـا يـؤدي إلـى تركـز القصـف في الأماكـن الصغيـرة المتبقيـة.

زهده:

وأمـا الإمـارة والسـلطة فقـد كان يفـر منهـا فـرار الصحيـح مـن المجـذوم، ففـي إحـدى جلسـات الشـورى كان أبـو أحمـد يريـد تعييـن أميـر عسـكري لأشـداء، والمرشـح لذلـك أبـو عثمـان الأنصـاري وأبـو يوسـف المهاجـر، فـكان أبـو أحمـد ومعـه أبـو محمـد منبـج إذا عرضاهـا على أبـي يوسـف رفـض، وقـال: أبـو عثمـان أفضـل منـي في ذلـك، وإذا عرضاهـا على أبـي عثمـان رفـض، وقـال: أبـو يوسـف أولـى منـي، ثـم تـم تعييـن أبـي عثمـان كونـه أكفـأ إداريـا مـن أبـي يوسـف، ثـم أصيـب أبـو عثمـان في إحـدى المعـارك ولـم يعـد بإمكانـه الاسـتمرار بالقيـادة العسـكرية، فجـاء أبـو محمـد منبـج إلـى أبـي يوسـف المهاجر، وقـال لـه: يجـب أن تتولـى القيـادة العسـكرية، فرفـض، فحـاول معـه بشـتى الطـرق، مـرة يقـول: يـا أبـا يوسـف إنهـا أمانـة ومسـؤولية ويجـب أن تنهـض بهـا ولا يوجـد حاليـا أكفـأ منـك وستسـأل عـن تخلفـك أمـام الله، وأخـرى يقـول لـه: يـا أبـا يوسـف، أنـا أطلـب ذلـك منـك فـلا تردنـي خائبـا، واسـتمر أبـو يوسـف بالرفـض، فلمـا رأى أن أبـا محمـد وجـد عليـه -وكانـا كأخويـن- جعـل يبكـي ويقـول: هـذه أمانـة ثقيلـة وأنـا لسـت أهـلا لهـا، ثـم وافـق على مضـض وكـره شـديدين.

وفي الدباغـات وبينمـا أبـو يوسـف مرابـط مـع مجموعتـه في بنـاء مظلـم، تقدمـت مجموعـة مـن العـدو حتـى دخـل أحـد الضبـاط المبنـى وهـو لا يعلـم أن المجاهديـن فيـه، فأمـر أبـو يوسـف أحـد الشـباب وكنيتـه أبـو الفـدا، فقـام وقتلـه، ومـع الضابـط بندقيـة ومسـدس وقبضـة، وسـلم الغنائـم لغرفـة العمليـات، ثـم استشـهد أبـو الفـدا، وطالـب أبـو يوسـف بشـيء للشـاب مـن الغنائـم، فلـم يقـدر على تحصيـل شـيء، ولـم يطالب لنفسـه، فقـال لـه أبـو سـارة: لمـاذا لا تطلـب لنفسـك مـن فـلان، فأنـت قـد سـلمته الغنائـم، فقـال: أخشـى أن تفسـد الغنائـم نيتـي، ولـذا فـلا أريدهـا.

استشهاده:

في أواخر الحصار الثاني لحلب وبعد سقوط عدد كبير من المناطق بيد النظام النصيري شاع خبر التهجير من حلب، فقال أبو يوسف: أنا لن أخرج من حلب، بل سأستشهد وأدفن فيها إن شاء الله.

وبعد احتلال النصيريين منطقة الميسر ومشفى العيون، صار المرابطون في جبهة عزيزة في خطر عظيم، وقد يحاصرون في أي لحظة، فأراد أبو يوسف أن يعطيهم أمرا بالانسحاب فجرا، ولكن الجيش اقتحم في تلك الليلة عليهم، وتمكن من السيطرة على النقاط التي يرابط فيها مجاهدو الجبهة الشامية وحركة الفجر، وحوصر مجاهدو أشداء، فأخذ أبو يوسف مجموعة من المجاهدين وذهب إليهم ليؤازرهم، ثم طلب مجموعة أخرى، فأخذ أبو بكر الصاخوري من تبقى من الشباب وخرج بهم وكثير منهم جرحى، ولما وصل أبو بكر الصاخوري إلى هناك كان القصف شديدا جدا، فدخل أبو يوسف خندقا ليصل إلى الشباب المحاصرين، مع أن الوصول إليهم أمر في غاية الصعوبة، فالجيش النصيري لا يبعد سوى خمسين مترا عن المكان الذي سيدخل منه أبو يوسف إلى الشباب المحاصرين، ودنا أبو يوسف من المجاهدين وأعطى أمرا لأمير النقطة بالتراجع إلى الوراء قليلا، فقال له: لا يمكنني التراجع، فمعي شهداء وجرحى، فقال أبو يوسف: دع الشهداء واخرج بالجرحى فقط، وفي هذه اللحظات كانت المجموعة خلف أبي يوسف تخوض اشتباكا ضاريا جدا مع العدو لدرجة أن جميع البواريد صارت تستعصي فيها الطلقات لكثرة ما رمى فيها الشباب، فكان أحدهم يرمي الطلقة بالبارودة ثم يتركها ويأخذ غيرها فيرمي بها ويتركها ويأخذ غيرها، وباقي الشباب يعالجون استعصاء الطلقات ويجهزونا للرمي بها، ثم تمكن الأخ أبو بكر الصاخوري من الوصول إلى نقطة قريبة من المحاصرين، وهذه النقطة كانت ترصد المحاصرين، فاستطاع أبو بكر تمشيطها، ثم انتقل إلى النقطة التي تليها من ناحية الشرق، وبهذا صار الطريق مؤمنا لينسحب المحاصرون، فانسحبوا جميعا وبقي أبو بكر الصاخوري ومعه شاب آخر في النقطة، وأبو يوسف يوجهه عبر القبضة، ثم انسحب الشاب الذي كان مع أبي بكر، وبقي أبو بكر، فقال له أبو يوسف: انسحب الآن، فقال: إن شاء الله، ثم لم يلبث أبو بكر أن استشهد ووقعت قبضته بيد النصيريين.

فتوجه أبو يوسف ومعه شاب اسمه جليبيب الديري لينسحبوا، وفي أثناء ذلك سقطت بقربهم قذيفة، فاستشهد أبو يوسف وجرح الشاب الذي كان معه، وكان استشهاده في آخر عام 2016 قبل تهجير أهل حلب بعشرة أيام تقريبا.

ختاما:

لقد صدق أبو يوسف المهاجر ربه فصدقه ربه، قال: لن أخرج من حلب وسأستشهد وأدفن فيها إن شاء الله، فاستجاب الله دعاءه، فكأن فيه شبها بالصحابي الجليل عاصم بن ثابت بن الأقلح الذي عاهد ربه ألا يمس مشركا أبدا وهو حي، فمنعه الله من المشركين بعد أن استشهد.

رحم الله أبا يوسف فقد بذل كل ما يستطيع لنصرة دين الله وتحكيم شرعه وإقامة دينه، وصبر على الفقر وفقد الأحبة وقلة المقدرات وضعف الأشياء المتوفرة لديه.
رحم الله أبا يوسف فقد كان أبا رحيما للمجاهدين الذين كانوا تحت إمرته، وقائدا حكيما وعسكريا شجاعا لا تهوله المصاعب والشدائد ولا يروعه همجية العدو ووحشيته وفتك أسلحته وكثافة قصفه ونيرانه.

اللهم اغفر لعبدك أبي يوسف، وتقبله في الشهداء، وارفع درجته في الجنة، وعوض الأمة عنه خيرا، واجمعنا وإياه مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى، والحمد لله رب العالمين.

ومن المناسب أن نذكر شهادة الشيخ أبي اليقظان في ختام الترجمة فقد كتب إلي :دخل علي ليلةً لما بلغت القلوبُ الحناجر في حصار حلب فجلس بجواري وكان متعبًا جدًا بعد معركة شرسة لصد عاتية الكفار في جبهة عزيزة، ظل ساكتًا فترة ثم بكى وازداد بكاؤه وأنا انظر إليه حتى هدأ ثم قال: «أنا خايف على النساء يا شيخ، حلب أمانة»، ثم قام وخرج.

هذا الموقف يُلخص لنا شخصية أخي الحبيب أبي يوسف المهاجر تقبله الله في الشهداء. رجل جمع الله له بين حُسن الخلق والعلم والديانة؛ فنسأل الله أن يتقبل

منـه صبـره وجهـاده ودعوتـه وأن يجمعـه بابنـه وأخيـه في الجنـة وأن يبـارك في ذريتـه.

الفهرس

المقدمـــة...1
مولـده ونشــأته 2
نفيره إلى الجهاد...2
شــجاعته..3
عبادتــه وأخـلاقـــه 10
زهـــده..15
استشـــهاده...16
الخاتمـــة..17